مخطوطة

مختصر كتاب المؤمل في الرد إلى الأمر الأول

المؤلف

عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (أبو شامة)

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

هذا مختصر كتاب المؤمل للرد الى الامر الاول
تصنيف الامام العلامة محيي السنة شهاب
الدين ابي القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل
ابن ابراهيم المعروف بابي شامة
الشافعي رحمه الله رحمة
واسعة ونفعنا به
وبعلومه
امين

بمكتبة
[illegible]

مكتبة جامعة الملك عبد العزيز – قسم المخطوطات
اسم الكتاب مختصر لكتاب المؤمل الرقم ١٨٤٤
اسم المؤلف [illegible] بن شامة
تاريخ النسخ ١٢٤٤ هجرية
عدد الاوراق ١٢٠ القياس ١٥ × ١٢
ملاحظات
٢١٨
٢

المختصر من صحيح

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين على امور الدنيا والدين
الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين
والصلوة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد النبي الامين
وعلى آله الطيبين الطاهرين واصحابه نجوم الدين وبعد فهذا
مختصر من كتاب المؤمل للرد الى الامر الاول تصنيف الامام العلامة
محيي السنة شهاب الدين ابي القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم
المعروف بابن ابي شامة الشافعي قدس الله روحه قال اما بعد
فان العلم قد درست اعلامه وقل في هذه الازمان اتقانه واحكامه
وآل به الاحوال الى ان عدم احترامه وقل اجلاله واعظامه وكاد
يجهل حلاله وحرامه هذا مع حث الشارع عليه ووصفه العلماء الذين
يخشونه اياه ورفع درجتهم وضمه لهم مع الملائكة في شهادتهم قال الله
تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو
والملائكة واولوا العلم وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات الى غير ذلك من الآيات الكثيرة والاخبار
المستفيضة وقد كان من مضى من الائمة المجتهدين قائمين بنشر علوم
الاجتهاد في جميع الافاق وهم في ذلك متفاضلون فمنهم المحكم
لعلم الكتاب ومنهم القائم بامر السنة ومنهم في العربية ومنهم
استنباط الاحكام وقل من اجتمع فيه القيام بجميع ذلك فكان من
اجمعهم واقومهم به امامنا ابو عبد الله القرشي المطلبي الشافعي رضي
عنه جمع النسب الطاهر والعلم الباهر وكثرة المآثر وجل المفاخر
فكان فيه من المناقب والفضائل ما فرق في كثير من الائمة الافاضل وشهد له

بذلك

من كل من ساده اماثل قال المزني سمعت الشافعي يقول حفظت القرآن وانا
ابن سبع سنين وحفظت الموطا وانا ابن عشر سنين وقال يونس بن عبد
الاعلى كان الشافعي اذا اخذ في التفسير كانه شاهد التنزيل وقال
احمد بن محمد ابن بنت الشافعي سمعت ابي يقول سمعت عمي يقول كان
سفيان بن عيينة اذا جاءه شيء من التفسير والفتيا يسأل عنها
فيحول الفتيا الى الشافعي فيقول سلوا هذا وقال الربيع شيخه مسلم بن
خالد وهو مفتي مكة يا ابا عبد الله افت فقد آن لك والله ان
تفتي وهو ابن خمس عشرة سنة وقال الربيع كان الشافعي يفتي وهو
ابن خمس عشرة سنة وكان يحيى الليل الى ان مات وقال ابو نعيم الحافظ
سمعت سليمان بن احمد يقول سمعت احمد بن محمد بن بنت الشافعي
يقول كانت الحلقة في الفتيا بمكة في المسجد الحرام لابن عباس
وبعده لعطاء بن ابي رباح وبعده لعبد الملك بن جريج وبعده
لمسلم بن خالد وبعده لسعيد بن سالم وبعده لمحمد بن ادريس
الشافعي وهو شاب قال ابن مهدي سمعت مالكا يقول ما يأتيني
قرشي افهم من هذا الفتى يعني الشافعي قال ابو عبيد بن سلام ما
رأيت قط افضل ولا اورع ولا افصح من الشافعي قال هلال ابن العلا
الرقي اصحاب الحديث عيال على الشافعي فتح لهم الاقفال قال احمد
بن راهويه لقيني احمد بن حنبل بمكة وقال تعال اريك رجلا لم ترعيناك مثله فرايت الشافعي قال فتناظرنا في الحديث فلم ار اعلم منه
ثم تناظرنا في الفقه فلم ار افقه منه ثم تناظرنا في القرآن فلم ار اقرء منه
ثم تناظرنا في اللغة فوجدته بيت اللغة وما رأت عيناي مثله قط

اعقل التعصب

قال فلما فارقناه اخبرني جماعة من اهل الفهم بالقرآن انه كان اعلم الناس في
زمانه بمعاني القرآن وانه قد كان اوتي فهما في القرآن قال احمد بن حنبل
رحمه الله كان الفقهاء اطباء والمحدثون صيادلة فجاء الشافعي طبيبا
صيدلانيا فجعل يناسب العقار بعضه بعضا وقال ان الله يبعث لهذه الامة
في رأس كل مائة سنة من يعلمهم السنن وينفي عن رسول الله الكذب فنظرنا
فاذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز وفي رأس المائتين الشافعي
وقال اذا سئلت عن مسئلة لا اعرف فيها خبرا قلت فيها بقول
الشافعي لانه امام عالم من قريش وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال عالم قريش يملأ الارض علما وقال كلام الشافعي في اللغة حجة وقال
ابو عثمان المازني الشافعي عندنا حجة في النحو وقال ابو ثور ابراهيم
خالد كان الشافعي من معادن الفقه وجهابذة الالفاظ وقد
المعاني وقال الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني كان اصحاب الحديث
رقودا حتى جاء الشافعي فايقظهم فتيقظوا ومناقبه كثيرة وقد الفت
فيها مؤلفات عديدة

فصل في صفة العالم

قال عبد الله بن مسعود
ليس العلم بكثرة الحديث ولكن العلم الخشية وقال مالك بن انس ليس العلم
بكثرة الرواية ولكنه نور يجعله الله في قلب من يشاء من خلقه وفي رواية العلم
والحكمة نور يهدي به الله من يشاء وليس بكثرة المسائل وقال الاوزاعي
كان هذا العلم كريما يتلاقاه الرجال بينهم فلما كتب في هب نوره وصار الى غير
اهله وفي رواية كان هذا العلم كريما شريفا وكان الذين يتلاقونه
بينهم الخ وقال اذا اراد الله بقوم شرا فتح عليهم الجدل ومنعهم العمل
وقال مالك ليس الجدل من الدين بشيء وقال ايضا المراء في العلم يقسي القلوب

ويورث

ويورث النفاق وفي جامع الترمذي عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون قال حديث حسن صحيح قال بل كان العلماء
من السلف الصالح اهل نسك وعباده وورع وزهاده اراد والله تعالى بعلمهم
وصانوا العلم فصانهم وتدرعوا من الاعمال الصالحة ما زانهم ولم يشتهم الحرص
على الدنيا وخدمة اهلها بل اقبلوا على طاعة الله التي خلقوا لاجلها فاولئك الذين
عناهم الامام الشافعي بقوله ما حمل وريح لحاقلة من الفقهاء وفي رواية ان لم يكونوا
يكن الفقهاء اولياء الله في الآخرة فما لله ولي وقال ابن عباس قالوا ان العلماء غرور
العلم بحجة لاحبهم الله والملائكة والصالحون من عباده ونورها يوم القيامة كالشمس
العلم وشرفه وقال وهب بن منبه ان الفقهاء فيما خلا حملوا العلم فاحسنوا حمله
فما احتاجت اليهم الملوك واهل الدنيا ورغبوا في علمهم فلما كان باخره نشأ علماء
فحملوا العلم فلم يحسنوا حمله فطرحوه على الملوك واهل الدنيا فاهتضموهم
واحتقروهم وقال ايضا كان العلماء قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم فطالوا
لا يلتفتون الى دنياهم وكان اهل الدنيا يبذلون دنياهم في علمهم فاصبح اهل العلم منا
اليوم يبذلون لاهل الدنيا علمهم رغبة في دنياهم واصبح اهل الدنيا قد زهدوا
في علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم اللهم فجنبنا طريقة قوم ليتوصلوا بالعلم
واراد وا به الدنيا واعرضوا عما عند الله فيما في الآخرة من الدرجة العليا فليس يرضاوا
بحلاوته وليستعبوا بمرارته قبل خلقت عندهم دنياجته وذهبت حالته وعرف
مقداره جماعة من السادة فعظموه وبجلوه ووقروه واستغنوا وزادوه بعد
المعرفة افضل مما اعطى البشر واحتقروا ما جنبه كل مفتخر وقال فما آتاني
الله خير مما آتاكم وكيف لا يكون الامر كذلك والعلم حياة والجهل موت

www.alukah.net

فبينهما كما بين الحياة والموت ولقد احسن القائل

موت الجهل قبل الموت موت لاهله ... واجسامهم قبل القبور قبور

وان امرأ لم يحيى بالعلم ميت ... وليس له حتى النشور نشور

وقال اسماعيل بن عبد الله عن عبد الله بن عمرو عنه عليه الصلاة والسلام من قرء القرآن فكانما استدرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه ومن قرء القرآن فرئى ان احدا من الخلق اعطي افضل مما اعطي فقد حقر ما عظم الله وعظم ما حقر الله

فصل وصح من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلماء فيقبض العلم حتى اذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤسا جهالا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا وما اعظم خطره من قبل نفسه وجهله في تحصيل العلم حفظا على الناس بما بقي في ايديهم ضنا فان في هذه الازمنة قد غلب على اهلها الكسل والملل وحب الدنيا وقد قنع كثير منهم من علوم القرآن بحفظ كواده ومن بعض قراءته واغفل علم تفسيره ومعانيه واستنباط احكام الشريعة من مبانيه واقتصر من علم الحديث على سماع بعض الكتب على شيوخ اكثرهم اجهل منه بعلم الرواية فضلا عن الدراية ومنهم من قنع ببزابزة اذهان الرجال وكناسة افكارهم وبالنقل عن اهل مذهبه وقد سئل بعض العارفين عن معنى المذهب فاجاب ان معناه دين مبدل قال تعالى ولا تكونوا من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا الا ومع هذا يخيل اليه انه من رؤسى العلماء وهو عند الله وعند علماء الدين من اجهل الجهلاء بل بمنزلة قسي النصارى او حبر اليهود لان اليهود والنصارى ما كفروا الا بابداعهم في الاصول والفروع وقد صح عن النبي صلى الله عليه

لتركبن

لتركبن سنن من كان قبلكم الحديث **فصل** والعلم بالاحكام واستنباطها كان اولا حاصلا للصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم فكانوا اذا نزلت بهم النازلة بحثوا عن حكم الله تعالى فيها من كتاب الله وسنة نبيه وكانوا يتداولون الفتوى وجود كل منهم لو كفاه اياه غيره وكان جماعة منهم يكرهون الكلام في مسألة لم تقع ويقولون للسائل عنها اكان ذا فان قال لا قالوا دعنا حتى يقع ثم يجتهد فيه كما فعل الكل بفعلونه نحو فامن كرهوا الجواب على ما لا علم لهم به واشتغالا بما هو الاهم من العبادة والجهاد فاذا وقعت الواقعة لم يكن بد من النظر فيها قال الحافظ البيهقي وقد كره بعض السلف للعوام المسئلة عما لم يكن ولم يمض به كتاب ولا سنة وكرهوا للمسئول الاجتهاد فيه قبل ان يقع لان الاجتهاد انما ابيح للضرورة ولا ضرورة قبل الواقعة وقد يتغير اجتهاده عند الواقعة فلا يغنيهم ما مضى من الاجتهاد واحتج في ذلك بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وعن طاوس وكما قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر احرج بالله على كل امرء مسلم سئل عن شيء لم يكن فان قد بين ما هو كائن وفي رواية لا يحل لكم ان تسألوا عما لم يكن فان قد قضى فيما هو كائن قلت وفي هذا معنى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء وعن عبد الرحمن بن يزيد ان عمر بن الخطاب كان يقول اياكم وهذه المعضلات فانها اذا نزلت بعث الله لها من يقيمها او يفسرها قلت انما يضطر الى الاجتهاد في الاحكام الحكام ولم يات الاجتهاد لغير الحكام لحديث معاذ ان لم اجد في كتاب الله فبسنة رسول الله فان لم اجد في سنة رسول الله اجتهد برأيي ولا قالوا لانه لم يكن حاكما وقوله عليه السلام اقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه شيء فهو حاكم وكذلك

www.alukah.net

قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث كانا حاكمين في الاجتهاد
عند الميتة قال ابو الشعبي لا يحل تناولها الا عند المخمصة والذي يسوغ حكم
ومجتهد برأيه فمثله كمثل رجل فقير في بيته ويقول اذا كل الميتة لغلا وتجوز
لي اظنها ايضا فكذلك لا يجوز لانه يجتهد يقول الميتة تحظى ويصيب
فاذا الان شيئا يحتمل ان يكون صوابا وخطأ فتركه اولى مثل الشبهات من الطعام
تركه اولى من تناوله وعن القاسم بن راشد قال سألت طاوسا عن شيء فقال الان لم
قلت نعم قال الله الذي لا اله الا هو فقال ان اصحابنا حدثونا عن معاذ بن جبل رضي
الله عنه انه قال يا ايها الناس لا تعجلوا بالبلايا قبل نزوله فيذهب بكم هاهنا وهاهنا
وان لم تعجلوا قبل نزوله لم يستفك المسلمون ان يكون فيهم من اذا نزل سدد
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تستعجلوا بالبلية قبل نزولها فانكم اذا وقعتم ذاك
لا يزال منكم من يوفق ويسدد وانكم اذا استعجلتم بها قبل نزولها تفرقتم وكان
ابن عمر اذا سئل عن الفتوى يقول اذهب الى هذا الامير الذي تولد امور الناس وضعها
في عنقه اشارة الى ان الفتوى والقضايا والاحكام من توابع الولاية والسلطنة
قلت بهذا السبب اخذ اكثر اليهود والنصارى وزادوا عليهم حتى صاروا اثنتين
وسبعين فرقة فحكم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم من اصحاب النار كما شهد على
العشرة انهم من اصحاب الجنة وقال مسروق سألت ابي بن كعب عن شيء فقال كان
بعد قلت لا قال فاصبر حتى يكون فاذا كان اجتهدنا لك رأينا وقال
عبد الرحمن بن ابي ليلى ادركت عشرين ومائة من الانصار من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
ما منهم احد يحدث بحديث الا ود ان اخاه كفاه اياه ولا يستفتى عن شيء الا ود
ان اخاه كفاه الفتيا وفي رواية يسأل احدهم المسألة فيردها هذا الى هذا حتى
يرجع الى الاول ثم بعد الصحابة اراد الله ان يصدق نبيه في قوله تفترق امتي على

بضع

والشافعي ح

لان المجتهد يخطئ ح

بضع وسبعين فرقة فعظمها فتنة على امتي قوم يقيسون الامور برأيهم فيحلون
الحرام ويحرمون الحلال رواه البزار في مسنده عن جبير بن نفير عن عوف بن
مالك الاشجعي عنه صلى الله عليه وسلم فكثرت الوقائع والنوازل في التابعين
ومن بعدهم واجتهدوا واداروا انهم من اضطر ومن لم يضطر ووصلت الى من
بعدهم من الفقهاء ففرعوا عليها وقالوا واجتهدوا في الحاق غيرها بها فنشأت
مسائل الفقه وشككهم البيتي وكوسج وبرهم واختلفوا اختلافا كثيرا
سنذكره في فصل ولم تنته تلك الازمنة حتى دونها المجتهدون فكل صنف على ما رأى
وتعقب بعضهم على بعض مستندين من الاصلين الكتاب والسنة وترجيح الراجح
من اقوال السلف المختلفة بغير هوى ولم يزل الامر على ما وصفت الى ان تشعبت
المذاهب المدونة ثم اشتهرت المذاهب الاربعة وهجر غيرها فقصرت هممهم اتباعهم الا
قليلا منهم فقلد بعد ما كان التقليد لغير الرسل حراما بل صارت اقوال ائمتهم عندهم
بمنزلة الاصلين وذلك معنى قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله فعدم المجتهدون وغلب المقلدون وكثر التعصب وكفروا برسل الرسول الرحيم
قال ابعث اليه في كل رأس مائة سنة من يجدد لهم دينهم يعني بتحريف الغالين وانتحال المبطلين
وحجروا على رب العالمين مثل اليهود ان لا يبعث بعد ائمتهم وليا مجتهدا حتى
آل بهم التعصب الى ان احدهم اذا اورد عليه شيئا من الكتاب او السنة الثابتة
على خلاف مجتهده في دفعه بكل سبيل من التأويل البعيد نصرة لمذهبه بقوله ولو
وصل ذلك الى امامه الذي يقلده لقابله ذلك الامام بالتعظيم وصار اليه
وتبرأ اليه من رأيه مستعيذا بالله من الشيطان الرجيم ومحمد الله على ذلك الكريم تعالى
الامر حتى صار كثير منهم لا يرون الاشتغال بعلوم القرآن والحديث ويرون ان
ما هم عليه هو الذي ينبغي المواظبة عليه فبدلوا بالطيب خبيثا وبالحق باطلا

www.alukah.net

واشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ثم نبغ قوم آخرون صارت عقيدتهم في الاشتغال بعلوم الاصليين يرون ان اولى منه الاقتصار على تلك خلافية وضعوها واشكال منطقية الفوها وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتهموا الرأي على الدين وقال سهل بن حنيف اتهموا الرأي في دينكم وقال عبد الله بن مسعود يحدث قوم يقيسون الامور برأيهم فيهدم الاسلام قلت ما عبدت الشمس والقمر والنجوم الا بالرأي ولا ادخلت النصارى ثالث ثلاثة ولا ان الله هو المسيح بن مريم ولا اتخذ الله ولدا الا بالرأي وكذلك كل من عبد شيئا من دون الله انما عبده برأيه فانظر الى قول السامري وكذلك سولت لي نفسي وقال عبد الله بن عمر لا ينزل الناس على الطريق ما اتبعوا الاثر وروى الشعبي عن عبد الله بن عمر اياكم واصحاب الرأي فانهم اعدى السنن اعيتهم الاحاديث ان يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا واضلوا وقال الاوزاعي عليكم بآثار من سلف وان رفضك الناس واياك وآراء الرجال وان زخرفوه لك بالقول وقال ايضا اذا بلغك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث فاياك ان تقول بغيره فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبلغا عن الله تبارك وتعالى وقال ايضا العلم ما جاء عن اصحاب محمد وما لم يجئ عن اصحاب محمد فليس بعلم يعني ما لم يجئ اصله عنهم وقال الشعبي اذا جاءك الخبر عن اصحاب محمد فخذ به على رأسك واذا جاءك عن التابعين فاضرب به اقفيتهم وقال سفيان الثوري العلم كله بالآثار وقال ابن المبارك ليكن الذي تعتمد عليه الاثر وخذ من الرأي ما يفسر لك الحديث وقال احمد بن حنبل سألت الشافعي عن القياس فقال عند الضرورات ولكن احسن امر الشافعي عندي انه اذا ثبت الخبر لم يكن عنده قال به وترك قوله وقال الشافعي القياس كالميتة اذا احتيج اليها فشأنك بها قلت

ما احسن قول القائل

تجنب ذنوب الرأي فالرأي ريبة ... عليك بآثار النبي محمد
فمن يركب الاهواء يندم على الهدى ... ومن يتبع الآثار يهدى ويحمد

وقول الآخر ايضا

دين النبي محمد اخبار ... نعم المطية للفتى الآثار
لا ترغبن عن الحديث واهله ... فالرأي ليل والحديث نهار

وقال بعض المغاربة

انظر بعين الهدى ان كنت ذا نظر ... فانما العلم مبني على الاثر
لا ترض غير رسول الله متبعا ... ما دمت تقدر في حكم على خبر

ولم يختلف المفسرون فيما وقفت عليه من كتبهم في ان معنى قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان تقديره الى قول الله وقول الرسول فيجب رد جميع ما اختلف فيه الى ذلك فما كان اقرب اليه اعتمد صحته واخذ به ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه مردوا الحكم الى السنة وهذه كانت طريقة العلماء الاعلام ائمة الدين وهي طريقة امامنا ابي عبد الله الشافعي ولهذا قال احمد بن حنبل ما احد وضع الكتب حتى ظهر خطأه واتبع للسنة من الشافعي وقال الشافعي رحمه الله احتاط لنفسه وعلم ان البشر لا يخلو من السهو والغفلة وعدم الاحاطة فصح عنه من غير وجه انه اذا وجد قوله على مخالفة الحديث الصحيح الذي يصح الاحتجاج به ان يترك قوله ويعمل بالحديث انبأنا القاضي ابو القاسم عمر اخبرنا الحافظ ابو بكر احمد بن حسين البيهقي انبأنا ابو عبد الله الحافظ انبأنا ابو العباس محمد بن يعقوب قال سمعت الربيع ابن سليمان يقول سمعت الشافعي يقول اذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة ودعوا ما قلت

www.alukah.net

وقال صاحب الشافعي المزني في اول مختصره اختصرت هذا من علم الشافعي ومن معنى
قوله لاقرب على من اراده مع اعلامي نهيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه
ويحتاط فيه لنفسه اي مع اعلامي من اراد علم الشافعي نهي الشافعي عن
تقليده وتقليد غيره قال الماوردي صاحب الحاوي قوله ويحتاط لنفسه
اي يطلب الاحتياط لنفسه بالاجتهاد في المذاهب وترك التقليد بطلب الدلالة
اه فعلى هذا كان السلف الصالح يتبعون الصواب حيث كان ويجتهدون
في طلبه وينهون عن التقليد فصل نجد ان المصنفين من اصحابنا المتصفين
بالصفات المقدمة في الاتكال على نصوص امامهم معتمدين عليها اعتماد
الائمة قبلهم على الاصلين الكتاب والسنة قد وقع في مصنفاتهم خلل كثير من
وجهين عظيمين الاول انهم يختلفون كثيرا فيما ينقلونه من نصوص الشافعي
وفيما يصححونه منها وصارت لهم طرق مختلفة خراسانية وعراقية فترى هؤلاء
ينقلون عن امامهم خلاف ما ينقله هؤلاء والمرجع في هذا كله الى امام واحد
وكتبه مدونة مروية موجودة فلا كان ان يرجعون اليها وينقلون فضلا عن
كثرة اختلافهم عليها واجود تصانيف اصحابنا من الكتب فيما يتعلق بنصوص
الشافعي كتاب التقريب للشيخ ابي عاصم العبادي اخبر المتاخرين بنصوص الشافعي
وهو الامام الحافظ ابو بكر البيهقي الوجه الثاني ما يقعون فيه من الاحاديث
النبوية والآثار المروية فمن كثرة استدلالهم بالاحاديث الضعيفة
على ما قد صبوا اليه فصرة لقولهم وينقلون من الفاظ الاحاديث وتارة
يزيدون فيه وما اكثره في كتب ابي المعالي وصاحبه ابي حامد فحيث اختلف
المتابعان تخالفا وتراد ومن العجب ما ذكره صاحب المهذب في اول باب
ازالة النجاسة قال واما الغائط فهو نجس لقوله صلى الله عليه وسلم لعمار انما تغسل

ثوبك

ثوبك من الغائط والبول والمني والدم والقيء ثم ذكر بعد ذلك طهارة منى الآدمي
ولم يتعرض للجواب عن هذا الحديث الذي هو حجة خصمه ولم يكن له حاجة الى
ذكره اصلا فان الغائط لا ضرورة الى الاستدلال على نجاسته بهذا الحديث
الضعيف المتنازع حجة عليه في امر آخر ومن قبيح ما يأتي به بعضهم يحتج بخبر
ضعيف هو دليل خصمه عليه فيورده معرضين عما كانوا ضعفوه ففي كتاب
الحاوي والشامل وغيرهما شيء كثير مع هذا وهم مقلدون لامامهم الشافعي
فهلا اتبعوا طريقته في ترك الاحتجاج بالضعيف وتعقبه على من احتج به الكل
وتبين ضعفه ثم ان مذهبه ترك الاحتجاج بالمراسيل الا بشروط ولو ذكر
سند الحديث وعرفت عدالة رجاله الى التابعي وسقط من السند ذكر الصحابي
كان مرسلا ويورد هؤلاء المصنفون هذه الاحاديث محتجين بها بالاسناد اصلا
فيقولون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظنون ان ذلك حجة وامامهم
يرى ان الوقوف من السند الصحابي وحده ليس بحجة وكذا الوقوف غير الصحابي من
السند فليتهم اذ عجزوا عن اسانيد الاحاديث ومعرفة رجالها لعزوها الى
الكتب التي اخذوها منها ولكنهم لم يأخذوا تلك الا حاديث الا من كتب من
سبقهم من مشايخهم ممن هو على مثل حالهم فبعضهم يأخذ من بعض فيقع
التغيير والزيادة والنقصان فيما صح اصله ويختلط الصحيح بالسقيم وهذا
كله غير مستقيم بل الواجب في الاستدلال على الاحكام وبيان الحلال والحرام
ان من يستدل بحديث فيذكر مستنده ويتكلم عليه بما يجوز الاستدلال به
او يعزوه الى كتاب مشهور من كتب اهل الحديث المعتمدة فيرجع من يطلب صحة
الحديث وسقمه الى ذلك الكتاب وينظر في سنده وما قال ذلك المصنف او غيره
فيه وفقنا الله تعالى وله الحمد الوقوف على ما ثبت من الاحاديث وتجنب ما ضعف منها

بما جمعه علماء الحديث في كتبهم من الجوامع والمسانيد فالجوامع هي المرتبة
على الابواب من الفقه والرقائق والمناقب وغير ذلك فمنها ما اشترط فيه
الصحة اذ لا يذكر فيه الا حديث صحيح على شرط مصنفه ككتاب البخاري ومسلم
وما الحق بهما واستدرك عليهما وكصحيح الائمة محمد بن اسحق بن خزيمة
وكتاب ابي عيسى الترمذي وهو كتاب جليل مبين فيه الحديث الصحيح والحسن
والغريب والضعيف وعليه عمل الائمة فقه كثير ثم سنن ابي داود والنسائي
وابن ماجة ومن بعدهم سنن ابي الحسن الدارقطني والتقاسيم لابن حبان
ابن حبان وغيرها ثم مرتبته وجمعه الحافظ ابو بكر البيهقي في سننه الكبير
من الاوسط والصغير التي اتى بها على ترتيب مختصر المزني وقربها الى
الفقهاء بحيث فلا عذر لهم ولا سيما الشافعية منهم في تجنب الاشتغال
بهذه الكتب النفيسة المصنفة في شروحها وغيرها بل افنوا زمانهم
وعمرهم بالنظر في اقوال من سبقهم من متاخريه وتركوا النظر في نصوص
نبيهم المعصوم من الخطا واثار اصحابه الذين شهدوا الوحي وعاينوا
المصطفى وفهموا مراد النبي فيما خاطبهم لقرائن الاحوال اذ ليس الخبر كالمعاينة
فلا جرم حرم هؤلاء رتبة الاجتهاد وبقوا مقلدين على الاباد وقد كانت
العلماء في الصدر الاول معذورين في ترك ما لم يقفوا عليه من الحديث لان الاحاديث
لم تكن حينئذ فيما بينهم مدونة انما كانت تتلقى من افواه الرجال وهم متفرقون
في البلاد ولو كان الشافعي وجد في زمانه كتابا في احكام السنن الكبير من
الموطا لحفظه مضافا الى ما وعاه من افواه مشايخه فلهذا كان الشافعي العارف
يقول لاحمد بن حنبل اعلموني بالحديث الصحيح اصر اليه وفي رواية اذا صح الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا حتى اذهب اليه ثم جمع الحفاظ الاحاديث الصحيحة باي كتب

ونوعوها وسهلوا الطريق اليها فبوبوها وترجموها وبينوا
ضعف كثير منها وصحته وتكلموا في عدالة الرجال وجرح المجروح منهم وفي علل
الاحاديث ولم يدعوا للمشتغل شيئا يتعلل به وفسروا القرآن والحديث
وتكلموا على غريبهما وفقههما وكل ما يتعلق بهما من مصنفات عديدة
جليلة فالالآت متهيئة لطالب حاذق ولذي همة وذكاء وفطنة
وائمة الحديث المعتمدون هم القدوة في فنهم فوجب الرجوع اليهم في ذلك
وعرض اراء الفقهاء على السنن والاثار الصحيحة مما ساعد الاثر فهو المعتبر
والا فلا ينطل الخبر بالرأي بل نضعفه ان كان على خلاف وجوه الضعف
من علل الحديث المعروفة عند اهله او اجماع الكافة على خلافه وقد يظهر
ضعف الحديث وقد يخفى واغرب ما يوقع مربيه في ذلك انك ترى حديثا
خارجا عن دواوين الاسلام كالموطا ومسند احمد والصحيحين وسنن
ابي داود والترمذي والنسائي ونحوها مما تقدم ذكره ومما لم نذكره
فانظر فيه فان كان له نظير في الصحاح او الحسان قرب امره وان رأيته يباين
الاصول وادرت به تناقل رجال اسناده واعتبر احوالهم من الكتب المصنفة
في ذلك واصعب الاحوال ان يكون رجال الاسناد كلهم ثقات ويكون متن
الحديث موضوعا عليهم او مقلوبا او قد جرى فيه قلب ولا يغرنك هذا
الا النقاد من علماء الحديث فان كنت من اهله والا فسل عنه اهله قال الاوزاعي
كنا نسمع الحديث فنعرضه على اصحابنا كما نعرض الدرهم الزيف فما عرفوا منه خذنا
وما انكروا تركنا فالتوصل الى الاجتهاد بجمع السنن في الكتب المصنفة اذا
ارزق الانسان الحفظ والفهم ومعرفة اللسان اكمل من قبل ذلك لو اقبل
المتاخرين وعدم المعتبرين ومن البلية تعصبهم وتقيدهم برفق الوفق

وجهال اكثر المصدرين مسلم على ما هو المعروف الذي هو منكر مأنوف فصل
فاذا ظهر هذا وتقرر تبين ان التعصب لمذهب الامام المقلد لبس هو بابتاع اقوال
كلها كيف ما كانت بل بالجمع بينها وبين ما ثبت من الاخبار والآثار
ويكون الخبر هو المتبع ويؤيد كلام ذلك الامام يتغير بلا له على الخبر
والآثار والامر عند المقلدين بالعكس هذا انما يكون لو تغير بلا
له على نص امامهم ثم الشافعيون كانوا اولى بما ذكرناه لمن امامهم على ترك
قوله اذا ظهر بحديث ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلافه فالتعصب على
الحقيقة انما هو امتثال امره في ذلك وسلوك طريقته في قبول الاخبار والبحث عنها
والتفقد فيها وقد نقلت ما روي عنه في ترجمته في تاريخ دمشق قال الربيع
قال الشافعي قد اعطيتك جملة تغنيك ان شاء الله تعالى لا تدع لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حديثا ابدا الا ان ياتي عن رسول الله صح الخبر منها عند اهل النقل بخلاف ما قلت فتعمل بالثابت
لكن في الاحاديث اذا اختلفت وفي رواية اذا وجدتم عن رسول الله سنة خلاف قولي
فخذوا بالسنة ودعوا قولي فانا اقول بها وفي رواية اذا وجدتم في كتابي خلاف
سنة رسول الله فقولوا بسنة رسول الله ودعوا ما قلت وفي رواية كل مسئلة صححت فيها خلافه فانا راجع عنها
حياتي وبعد مماتي قال سمعت الشافعي يقول وروى حديثا فقال له رجل
اتاخذ بهذا يا ابا عبد الله فقال ومتى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا صحيحا
فلم آخذ به فاشهدكم ان عقلي قد ذهب واشار بيده على رؤوسهم وفي رواية
روى حديثا فقال له رجل اتاخذ به فقال له ترائي مشركا او ترائي في وسطي
زنارا او ترائي خارجا من البيعة ثم اخذته آخذ به وذاك الفرض على كل مسلم
وقال مرة قال الشافعي كل ما قلت وكان قول النبي صلى الله عليه وسلم خلاف
قولي مما يصح فحديث النبي صلى الله عليه وسلم اولى ولا تقلدوني وفي كتاب ابي ابي حاتم

عن ابي ثور

عن ابي ثور قال سمعت الشافعي يقول كل حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو قولي
وان لم تسمعوا مني وفيه عن الحسين الكرابيسي قال قال لنا الشافعي
ان اصبتم الحجة في الطريق مطروحة فاحكموها عني فاني قائل بها وقال
الربيع سمعت الشافعي يقول ما من احد الا وتذهب عليه سنة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وتعزب عنها فمهما قلت من قول او اصلت من اصل فيه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم خلاف ما قلت فالقول ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قولي قال
وجعل يردد هذا الكلام قال وقال الشافعي من تبع سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وافقته ومن غلط فتذكرها خالفته صاحبي الازني الذي لا اخاله
اثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الزعفراني لنا قيل لنا سفيان
عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قلنا هذا
ماخوذ وهذا غير ماخوذ حتى قدم علينا الشافعي فقال ما هذا اذا صح
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو ماخوذ به لا يترك لقول غيره قال مشهنا
على شيخ لم نعرفه يعني منهنا على هذا المعنى قال ابو بكر الاشرم كنا عند
البويطي فذكرت حديث عمار في التيمم فاخذ السكين وحبة من كتابه
وصيره فريضة وقال هكذا اوصاني صاحبنا اذا صح عندكم الخبر فهو قولي
قال المصنف قلت هذا من البويطي فعل حسن موافق للسنة واما امر
امامه واما الذين يظهرون التعصب لاقوال الشافعي كيف ما كانت وان
جاءت سنة بخلافها فليسوا متعصبين في الحقيقة لانهم لم يمتثلوا اما امر
امامهم بل وامرهم ووصيتهم اذا اورد عليهم الحديث الصحيح هو مذهبهم
فقد امر بتركه عند وجدان ما يخالفه من السنة هذا مع كونهم عاصين بذلك
لمخالفتهم ظاهر كتاب الله وسنة رسوله والعجب ان منهم من يتشجن مخالفة

www.alukah.net

رضي الشافعي لنفسه آخر في مسئلة اخرى بخلافه ثم لا يرون مخالفة نصه لاجل قضي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اذن لهم الشافعي في هذا قال البويطي سمعت الشافعي يقول لقد الفت هذه الكتب ولم آل فيها ولا اعلم ان يوجد فيه الخطأ لان الله تعالى يقول ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فما وجدتم في كتبي هذه ما يخالف الكتاب والسنة فقد رجعت عنه وفي رواية اني الفت هذه الكتب مجتهدا بنحو ما قبله وفي آخره فاشهدوا علي اني ارجع عن قولي الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كنت قد بلغت في قبري وقال ابراهيم ابن المنذر الحزامي قال لنا معن بن عيسى القزاز قال سمعت مالكا يقول انما انا بشر اخطئ واصيب فانظروا في رأيي فكلما وافق الكتاب والسنة فخذوا به وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه وذاك كذلك في جميع الائمة وقد كره الامام احمد ان يكتب فتاويه وكان يقول لا تكتبوا عني شيئا ولا تقلدوني ولا تقلدوا فلانا وفلانا وخذوا من حيث اخذوا وقال بعضهم لا تقلدوا دينكم الرجال انهم آمنوا اسلموا وان كفروا كفرتم وكان احمد لا يفتي بطلاق السكران شيئا ويقول ان احللناه يقول هذا حرمناه يقول هنا وقال ابو حماد سمعت ابا عصمة يقول سمعت ابا حنيفة يقول ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وما جاء عن اصحابه اخترنا وما كان عن غير ذلك فنحن رجال وهم رجال وروى محمد بن الحسن عن ابي حنيفة انه قال قد مر كان من اقضاة المفتيين من الصحابة كابي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن عباد الثلاثة ولا استجيز خلافهم برأيي الا الثلاثة نفر وفي رواية اقلد جميع الصحابة ولا استجيز خلافهم برأيي الا الثلاثة نفر انتهى مالك وابو هريرة وسمرة بن جندب فقيل له في ذلك فقال اما انسى فاحتاط

يا آخر عمره

يا آخر عمره وكان يستفتى من علقمة والاسود علقمة واما ابو هريرة كان يروي كل ما سمع من غير ان يتأمل في المعنى ومن غير ان يعرف الناسخ والمنسوخ وقال ابن المبارك سمعت ابا حنيفة يقول اذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس واذا جاء عن اصحابه نختار من قولهم واذا جاء عن التابعين زاحمناهم وفي رواية قال آخذ بكتاب الله فان لم اجد فبسنة رسول الله فان لم اجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله آخذ بقول اصحابه ثم آخذ بقول من شئت منهم وادع قول من شئت منهم ولا اخرج عن قولهم الى قول غيرهم فاما اذا انتهى الامر الى ابراهيم والشعبي وابن سيرين والحسن وعطاء وسعيد بن المسيب وعد رجالا من التابعين فقوم اجتهدوا فاجتهد كما اجتهدوا قال سفيان الثوري ما بلغه ذاك عن ابي حنيفة تشهى رأيه لرأيهم وكانه سوى بين الصحابة والتابعين في انهم اذا اجمعوا في مسئلة على قولين مثلا لم يجز احداث قول ثالث وجوز ابو حنيفة ذلك واما اجماع الصحابة فلا كلام في انه لا يجوز مخالفته فقد وضح لك من اقوال الائمة انه متى جاء حديث ثابت صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو واجب المصير اليه عاد ذلك على ظاهره ما لم يعارضه دليل آخر وهذا هو الذي لا يسع احدا غيره قال الله عز وجل فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فنفى سبحانه الايمان عن من لم يحكم رسوله فيما وقع التنازع فيه ولم يستسلم لقضائه وقال عز وجل وان تطيعوه تهتدوا فجعل الهداية في طاعة رسوله ولم يجعلها في طاعة غيره وقال تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما وأوعد على مخالفته فقال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة

او يصيبهم عذاب اليم ۞ وقال تعالى ۞ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ۞ ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ۞ قال يونس بن عبد الاعلى حدثنا سفيان بن عيينة عن بن نجيح عن مجاهد قال ليس من احد الا يؤخذ من قوله ويترك الا النبي صلى الله عليه وسلم ۞ وروي ايضا عن مجاهد باسناد آخر ۞ وروى معناه عن الشعبي ۞ وكذلك روى شعبة عن الحكم بن عيينة ۞ وروى عن مالك ابن انس ۞ وقال الاصاحب هذا القبر ۞ واشار الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم

فصل كان العلماء من اصحابنا بعد تونس يمتحن المزني فبسببه سهل تحصيل مذهب الشافعي على طلابه في ذلك الزمان ۞ وسمعه من المزني خلق عظيم من الغرباء ورحل اليه بسببه ۞ واستملأت بنسخه البلدان حتى انه بلغني ان المرأة كانت اذا جهزت للدخول على زوجها حمل في جهازها ۞ مصحف وبنسخة مختصر المزني ۞ ويروى عن المزني انه قال بقيت في تصنيف هذا المختصر ست عشرة سنة ۞ وما صليت لله فريضة ولا نافلة الا سألت الله البركة لمن يعلمه ونظر فيه ۞ وكان ابو العباس بن سريج يقول في المختصر لصيق فؤادي هذا لا تؤون حجة ۞ وصيقل ذهني والمفرج عني همي عزيز على مثلي اضاعة مثله ۞ لما فيه من بديع ترتيب ومن نظم جموع لانواع العلوم بأسرها ۞ الله

وعلى ترتيبه ۞ وضع الكتب المطولة في مذهب الشافعي ۞ قال الحافظ الحافظ البيهقي قال بقي فيما اعلم على كل احد من الائمة مبلغ علمي من كتاب الله ثم ما جمعت من السنن والآثار وخطوط الفرائض والنوافل والحلال والحرام والحدود والاحكام فهو جمع الشافعي

الكثرهم

الكثرهم اتباعا واقواهم احتجاجا واصحهم قياسا واوضحهم ارشادا وذلك فيما صنف من الكتب القديمة والجديدة في الاصول والفروع بابين بيان واوضح لسان قلت ثم اشتهر في آخر الزمان على مذهب الشافعي تصانيف الشيخين ابي اسحاق الشيرازي وابي حامد الغزالي فاكب الناس على الاشتغال بها وكثر المتعصبون لها حتى صار المتبحر لا يرتفع عند نفسه يرى ان نفوسهما كنصوص الكتاب والسنة لا يرى الخروج عنها وان اخبر بنصوص غيرهما من ائمة مذهبه العامر بخلاف ذلك لم يلتفت اليها وقد يقع في بعض مصنفاتها فخالف المصنف فيه حديث صحيح او ساق حديثا على خلاف لفظه او نقل اجماعا او حكما عن مذهب بعض الائمة وليس كذلك فاذا ذكرنا ذلك المتعصب الصواب في مثل ذلك فاذى وصاح وزمجر واخفى العداوة وكان سبيله ان يفرح بوصوله الى ما لم يكن يعرفه ولكن عمي التقليد اصمه عن سماع العلم المفيد ويقول المتحذلق منهم المتعصر في منصب لا يستحقه اما كان هؤلاء الائمة يعرفون هذا الحديث الصحيح الوارد على خلاف مذهبهم فرد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل هذا الهذيان الذي لو فكر فيه اكتفى عنه لان خصمه في مثل هذا هو الله ورسوله لانه تعالى افترض علينا طاعة رسوله فقد وصلنا حديثه فلا نرده بقول احد ثم ان في ذلك ابطالا لمذهبه وهدما لاصله الذي مهد اساسه واسسه وذلك ان الشافعي انما تعقب على من كان قبله من الائمة بمثل ذلك من دلالات الكتاب والسنة صاعدا فيه خفي على من سبقه وكان من المحكم ان يقال له اما كنا او لئك يعرفون هذا واولئك المتقدمون اولى بذلك من المتأخرين فلو سمع مثل هذا الهذيان لبطلت المذاهب بل ينبغي للطالب ان يكون ابدا في طلب ازدياد علم ما لم يعلم من اي شخص كان فالحكمة ضالة المؤمن اينما

وجدها اخذها وعليه بالانصاف وترك التعليل واتباع الدليل فكل احد
يخطئ ويصيب الا من شهدت له الشريعة بالعصمة وهو النبي صلى الله عليه وسلم
قال الشافعي في كتاب اختلاف الحديث انبانا سفيان عن عمرو بن دينار
عن سالم بن عبد الله بن عمر ان عمر بن الخطاب نهى عن الطيب قبل زيارة البيت
وبعد الجمرة قال سالم فقالت عائشة طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي
هاتين لاحرامه قبل ان يحرم ولحله قبل ان يطوف بالبيت وسنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم حق قال الشافعي فترك سالم قول جده عمر في امامته وقبل قول
عائشة وان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حق وذلك الذي يجب عليه وصنع
ذلك القرن بعد التابعين قلت وما زال اكابر الصحابة مثل ابي بكر
الصديق ومن بعده يخفى عليهم شيء من السنة كميراث الجدة وتوريث
المرأة من دية زوجها ووضع اليدين على الركبتين في الصلاة خفي الاول
على ابي بكر والثاني على عمر والثالث على ابن مسعود حتى نبههم على ذلك
غيرهم ولذلك امثلة عجيبة ومن العجب ان كثيرا منهم اذا ورد على مذهبه
اثر عن بعض اكابر الصحابة يقول مبادرا بالاحياء والاحتشة مذهب الشافعي
الجديد ان قول الصحابي ليس بحجة ويرد قول ابي بكر وعمر ولا يرد قول
ابي اسحاق والغزالي ومع هذا يرون مصنفات ابي اسحاق وغيره مشحونة
بتخطئة المزني وغيره من الاكابر فيما خالف الشافعي مذهبهم فلا تراهم
ينكرون شيئا من هذا فان اتفق يسيرون اعدا يقولون اخطأ الشيخ
ابو اسحاق في كذا بدليل كذا ولكن ان عجبوا وغضبوا يرون انه ارتكب كبيرا
من الاثم فان كان الامر كما ذكر وان الذي ارتكبه ابو اسحاق اعظم فما بالهم
لا ينكرون ذلك ولا يغضبون منه لو لا قلة معرفتهم وكثرة جهلهم بمراتب

السلف

السلف فصل قد تقدم ان الشافعي بنى مذهبه بناء محكما وذلك
انه كان اعتماده على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والنظر الصحيح من
الاجتهاد الراجع الى الكتاب والسنة وترجيح اشبه المذاهب بالكتاب والسنة
وهذا هو الاصل الصحيح الغوي الذي يتم البناء عليه الا انه قد يعرض له ما
يعرض لغيره من البشر ممن ليس بمعصوم من الغفلة والنسيان
فاحالنا تصريح قوله على ان ما يصح من اقوال النبي صلى الله عليه وسلم فهو مذهبه
فلم يترك لعائب عيبا ولا للمنتقد من حساده انتقادا فرضي الله عنه
ولهذا قال بعض العلماء لولا الشافعي لغيرت احكام الرأي ما جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم فصل هذه الفصول التي ذكرناها فصول حسنة
كثيرة الفوائد مجموعة من عدة مصنفات ينبغي لكل من يعتني بالعلم
النظر فيها والاطلاع عليها وقد رأيت ان اختمها ببعض فوائدها
واجلها وانعمها نفعا واولاها ذكرا وهو ما اعتنى ببيانه الامام ابو
حامد الغزالي رحمه الله في اول كتاب الاحياء من فضح اهل العلم
وبيان العلوم النافعة والتحذير من العلوم الضارة حيث قال
ادلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الانبياء وقد نشر عنهم
الزمان ولم يبق الا المتزيون وقد استحوذ عليهم الشيطان واستولى
الطغيان واصبح كل واحد بما لحظه مشغوفا فصار المعروف منكرا
والمنكر معروفا حتى ظل علم الدين مندرسا وصار الاولى بالهدى في اقطار
الارض منطمسا ولقد خيلوا الى الخلق ان لا علم الا فتوى حكومة سيتعين بها
القضاة على فصل الخصام عند تهارش الطغاة او جدل يتوسع به طلاب
المباهات الى الغلبة والافهام او سجع مزخرف يتوصل به الواعظ

www.alukah.net

الى السراج العظام : اذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام ، وشبكة للحطام : فاما علم طريق الآخرة وما درج عليها السلف الصالح : مما حباه الله تعالى في كتابه فقها وحكمة ، وعلما وضياء ونورا وهدى ورشدا : فقد اصبح بين الخلق مطويا ، وصار نسيا منسيا : ثم اثنى على علم المعاملة وقال : هو علم احوال القلب كالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخا وحسن الخلق والصدق والاخلاص ، وما يذم كالغل والحقد والحسد والغش والكبر والرياء والبخل والتزين للخلق والمداهنة والخيانة وطول الامل والقسوة وقلة الحياء وقلة الرحمة ، فهذه وامثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ، والاخلاق المحمودة منبع الطاعات الى ان قال : ولا ينبغي ان يغتر الانسان بقول كثير ان تعلم العلم لغير الله فان العلم لا يكون الا لله ، وكل علم هم علم الكتاب والسنة وان الفقهاء يتعلمون لغير الله لان ما يشتغلون به غير مأمور به ، وانظر الى اعمار الاكثرين منهم ، واعتبرهم فانهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا وليس الخبر كالمعاينة ، وقال ابو سليمان الخطابي دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا اجمال اخوان العلانية اعداء السر اذا لقوك تملقوك ، واذا غبت عنهم سبوك ، من اتاك عنهم كان عليك رقيبا ، واذا خرج كان عليك خطيبا ، اهل نفاق ونميمة ، وغل وحقد وخديعة ، ولا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم بل الجاه والمال ، وان يتخذوك سلما الى اوطارهم ، وحمارا في حاجاتهم ، اما قصرت في غرض من اغراضهم

كانوا

كانوا اشد الاعوانك ، ثم بعد ان تردهم البك ، دالة عليك ، ويرونه حقا واجبا عليك ، ويعرضون عليك ان يبتذلوا عرضك ودينك وجاهك لهم ، فتعادي عدوهم ، وتقصر قريبهم وخادمهم وليهم ، وتستهضى لهو سفيها ، وقد كنت فقيها ، وتكون لهم تابعا خسيسا ، بعد ان كنت متبوعا رئيسا ، ولذلك قيل اعتزال العامة مروءة تامة ، قال المصنف وقد رأيت ان اختمه من عبارات اهل المعرفة والتقوى والعاملين بالعلم الذين يورثون الخوف والهيبة والخشوع والزهد في الدنيا روينا عن عبد الله بن حنيف الانطاكي وهو احد السادات العباد قال سألت يوسف بن اسباط هل مع حداثة السن علم فقال مع العلم الاكبر خوف الله ، وذكر في مجلس احمد بن حنبل معروف الكرخي فقال بعضهم حفر هو قليل العلم فقال احمد وهل يراد من العلم الا ما وصل اليه معروف ، وقال عبد الله بن احمد ابي حنبل ذهب ابي ويحيى بن معين الى معروف فقال احدهما لابي معين اسألك المعنى في سجدتي السهو في الصلاة فقال معروف شرعا عقوبة للقلب اذ سهى وهو بين يدي الله فقال له ابي يا اباذكريا هذا من علمك هذا في كتبك او كتب اصحابك ، وقال الجنيد يا محمد اتدرون ما فرض الصلاة قطع العلائق وجمع الهم والحضور بين يدي الله تعالى فقيل له كيف تدخل في الصلاة قال بالقاء سمع وشهود قلب وحضور عقل وجمع هم وصحة تيقظ وحسن اقبال بتدبر في ترتيل ، وقال ابو حاتم محمد بن ادريس الرازي دخلت دمشق على كتبة الحديث فمررت بحلقة قاسم الجوعي فرأيت نفرا جلوسا حوله وهو يتكلم عليهم فهالني منظرهم وتقدمت اليهم فصمتوا

www.alukah.net

يقول اغتنموا من اهل زمانكم خمسا ان حضرتم لم يعرفوا وان
غبتم لم تفقدوا وان شهدتم لم تشاوروا وان قلتم شيئا لم يقبل
قولكم وان علمتم شيئا لم تعطوا به واوصيكم بخمس ايضا
ان ظلمتم لم تظلموا وان مدحتم لم تفرحوا وان ذممتم لم تجزعوا
وان كذبتم فلا تغضبوا وان خانوكم فلا تخونوا قال فجعلت
هذا خاتمي من دمشق قال المصنف رحمه الله تعالى
فهذا وامثاله هو ثمرة علم العلماء الذين يريدون
الله تعالى بطلب العلم النافع جعلنا
الله منهم بمنه وفضله وكرمه
ووفقنا للسلوك في مناهم
برحمته واحسانه
والحمد لله رب
العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين
قد نجز القلم بعون الله باري النسم على يد اضعف عباد الله الراجي
رحمة مولاه عبد الرحيم بن محمد صالح بن المرحوم سليمان الحميس غفر الله
له ولوالديه ذنوبهما المهاجر وكان نقلها من نسخة بخط الشيخ احمد
بن محمد بن احمد الحضراوي وهو نقلها من نسخة بخط الشيخ محمد بن حميد
الشرقي مفتي الحنابلة بمكة المكرمة وكان الفراغ من هذه النسخة
يوم الخميس كما دى والعشرون من شهر جمادى الثاني سنة ١٢١٤
اربع عشرة ومائتين بعد الالف من هجرة من له العز والشرف

شبكة الألوكة
www.alukah.net